مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

الشعر مدخل للدعوة الإسلامية
شعر النابغة الجعدي أنموذجًا (*)

https://doi.org/10.55074/hesj.vi56.1928

نهلة عبد الرحمن جعفر عبد الله
أستاذ مساعد الأدب والنقد بكلية الآداب
جامعة حائل - السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 31/2/2026 تاريخ قبوله للنشر 19/4/2026
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

الشعر مدخل للدعوة الإسلامية
شعر النابغة الجعدي أنموذجًا

نهلة عبد الرحمن جعفر عبد الله
أستاذ مساعد الأدب والنقد بكلية الآداب -جامعة حائل - السعودية

الملخص

للشعر وظيفة مهمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، ولا يزال يتعاظم هذا الدور لنشر القيم الدينية والمبادئ الإسلامية، ومما أجمع عليه النقاد والباحثون أنّ الشعر يتميز بقوة التأثير في النفس البشرية لتبليغ الرسائل الدينية والروحية، وله القدرة على التعبير، ويتميز بالتأثير العاطفي الذي يساعد على سرعة انتشار الدعوة تعزيزًا للوعي الديني، فهو وسيلة في استعمال اللغة الطبيعية في مختلف مجالاتها التواصلية والنفعية والأدبية الإبداعية، وباستصحاب مكانة الشعر عند العرب في الجاهلية تتجلى أهمية هذه القضية.

من هذا المنطلق جاءت إشكالية هذا البحث لتعكس دور الشعر من خلال توظيف أغراضه في الدعوة الدينية في صدر الإسلام، وقد جاء هذا البحث لتحقيق الأهداف الآتية: توضيح مكانة الشعر ودوره في نشر الدعوة الإسلامية، مع بيان دور شعرية النابغة الجعدي وإسهامها في دخول قومه في الإسلام، وصداها في المجتمعات المسلمة، وقد اعتمد البحث على عدد من المناهج منها: المنهج الوصفي، والمنهج والتحليلي، كاشفًا عن اتجاهات شعرية جديدة متأثرة بالقرآن الكريم والتشريع الإسلامي، وقد بيّن البحث مكانة شعر النابغة ودوره في نشر الدعوة الإسلامية، وظهور أشعار تدعو إلى وحدانية الله، والتقوى والإيمان بقضاء الله، والجهاد، كما دعت إلى فضائل الأخلاق، من فعل الخيرات وترك المنكرات، والالتزام بالعبادات.

الكلمات المفتاحية: شعراء الإسلام، النابغة الجعدي، الشعر، الدعوة الإسلامية، التوحيد.

A model of the poetry of the Islamic call by Al-Nabigha Al-Ja'diyya

Assistance professor Nahla Abdelrahman Jaffer
Hail University – Art College- Arabic Language Department

Abstract

Poetry has played an important role in the history of the Islamic call (da‘wah), and this role continues to grow in spreading religious values and Islamic principles. Critics and researchers agree that poetry is distinguished by its strong impact on the human psyche in conveying religious and spiritual messages, and by its ability to express meaning. It is characterized by emotional influence that helps the rapid spread of the call in order to enhance religious awareness. It is a means of using natural language across its various communicative, utilitarian, and creative literary domains. In light of the status of poetry among the Arabs in the pre-Islamic era, the importance of this issue becomes evident. From this perspective, the problem of this research emerged to reflect the role of poetry through the employment of its themes in religious الـدعـوة during the early period of Islam. The study seeks to achieve the following objectives: clarifying the status of poetry and its role in spreading the Islamic call; explaining the role of the poetry of al-Nābigha al-Ja‘dī and its contribution to his people’s entry into Islam; and examining the resonance of his poetry in Muslim societies. The research relies on several approaches, including the descriptive and analytical methods. The study revealed new poetic trends influenced by the Qur’an and Islamic legislation, such as poetry of الدعوة rejection of idol worship, and addressing polytheists to enter Islam. The effect of the Qur’an appeared clear and evident. The research also demonstrated the status of al-Nābigha’s poetry and its role in spreading the Islamic call, and the emergence of poems calling for the oneness of God, piety, faith in God’s decree, and jihad, as well as calling for moral virtues, performing good deeds, abandoning reprehensible acts, and adhering to acts of worship.

Keywords: Islamic poets, al-Nābigha al-Ja‘dī, poetry, Islamic call (da‘wah), monotheism.

مُقدَّمة البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد فإنّ عهد النبوة يُعد أفضل وأطهر مراحل التاريخ الإسلامي؛ لما له من مكانة سامية في نفوس المسلمين؛ وذلك لأنّه زمن الرسالة ونزول الوحي وإرساء العقيدة الإسلامية وتثبيت قواعد الدين السليم، ولأجل ذلك فقد حظيت هذه المدّة بالعناية والرعاية والدراسة والنقد والتحليل.

وقد استرعى اهتمامي الشعر في هذه الحقبة الزاهية، وأثر القرآن الكريم في ألفاظه وصوره، ولا سيما الشعر الذي سمعه النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ إعجابًا بما تضمنه من المعاني الإسلامية، وثناءً ومدحًا لقائله.

ولا شك أن الشعر العربي الفصيح أداة مهمة للتعبير، ووسيلة من وسائل التبليغ ونشر القيم، ويُعد – أيضًا – مصدر فخر واعتزاز للقبائل العربية، وله دور فعال في تمجيد القبيلة والذود عنها، فضلًا عن مكانتها المهمة بين العرب في نشر الأخبار والأحداث، وكذا دوره في التشريع الإسلامي، لتبليغ الرسالة ونشر الدعوة الإسلامية.

ولما كان الشّعر في العصورِ الأولى من الحياةِ العربيّة – وما يزالُ – منبعًا ثريًا للدراسةِ والبحثِ لِمَا ينطوي عليه من لغةٍ فنيّةٍ، وكثافةٍ دلاليّةٍ، وتناغمٍ إيقاعيٍّ بين وحداتِهِ المكوّنةِ له، وانطلاقًا من ذلك تولدت رغبتنا في اختيار هذا البحث الذي يسعى إلى رصد دور شعرية النابغة وإسهامها في نشر الدعوة الإسلامية، وبيان جماليات ذاك الشعر وروعته، ومدى تأثره بالقرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

١- إبراز دور الشعر الإسلامي في المجتمع والتركيز على دوره الفعال في النهوض بالدعوة والتشريع الإسلامي.

٢- تسليط الضوء على شعر النابغة الجعدي والعناية به؛ لما فيه من روح إسلامية تُعد مدخلًا للدعوة الإسلامية.

٣- تقديم إضافة علمية في مجال الأدب والنقد.

أهداف البحث:

١- توضيح مكانة شعر النابغة الجعدي ودوره في نشر الدعوة الإسلامية.

٢- بيان دور شعرية النابغة وإسهامها في دخول قومه في الإسلام، وصدى شعريته في المجتمعات المسلمة.

٣- دراسة أثر القرآن الكريم والحديث النبوي في تعابير النابغة وصوره وأخيلته.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في السؤالين الآتيين:

١- ما دور الشعر في توظيف أغراضه في الدعوة الدينية في صدر الإسلام؟

٢- ما مدى تمثل شعر النابغة الجعدي للقيم الإسلامية، واستلهام معاني القرآن الكريم والسنة النبوية؟

منهج البحث:

المنهج الذي يقتضيه هذا البحث هو المنهج التحليلي والمنهج الوصفي في قراءة شعر النابغة في هذه الحقبة الزاهية من تاريخنا الإسلامي، والتعمق في دلالاته الموضوعية.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي تناولت شعر النابغة الجعدي بأوجه مختلفة، وتتقاطع مع هذا البحث في جوانب وتخالفها في جوانب أخرى، فمنها ما يقتصر على شعر المدح، ومنها ما يختلف في منهج البحث ومنها ما يقف على شخصيته وحياته وشعره ومن تلك الدراسات:

- القيم الروحية من ديوان النابغة: نماذج من قصائد المدح، حليمة غرب الله، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية والإدارة، ٣(٣)، مايو - يونيو، (٢٠٢٣م).
- البعد الإدراكي للمقدّس في شعر النّابغة الجعدي (ت: ٦٥هـ)، مقاربة سيميائيّة، جمال فاضل فرحان، مجلة لارك، كلية الآداب، جامعة واسط، ١٧(٣)، (٢٠٢٥م).
- النابغة الجعدي وشعره، إبراهيم عوض، دار النهضة العربية، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، تتناول هذه الدراسة حياة النابغة الجعدي وشخصيته وشعره، بالإضافة لمسائل أخرى متعلقة به؛ مثل الكلام عن تعميره وتجاوزه المائتي عام، ومدى انسجام هذا القول مع الشعر الجيد المتماسك في أُخريات حياته.

شعر النابغة الجعدي (دراسة اسلوبية) د. نهلة عبد الرحمن جعفر، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، يونيو (٢٠٢٠م)، دار الكتب المصرية، العدد الرابع والعشرون.

هيكل البحث:

شعر النابغة الجعدي وثيقة أدبية وتاريخية نادرة، تمثل مرحلة انتقالية مميزة تجمع قيم الجاهلية مع المعاني السامية في الإسلام حاسمة بين الجاهلية والإسلام وتتبعت الباحثة أشعاره التي سخرها للذود عن دين الله سبحانه وتعالى والدفاع عن شريعته، التي أثرت على الدعوة.

تم ترتيب المبادئ الإسلامية للتطبيق مع مراعاة الأهمية، والبدء بالأركان الأساسية من أصول الدين وهي العقيدة تم الانتقال إلى العبادات والأخلاق والمعاملات.

اقتضت طبيعة البحث أن يُقسّم إلى ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وتليها خاتمة بها أهم النتائج.

المبحث الأول: الدعوة إلى توحيد الله.

المبحث الثاني: الجهاد في سبيل الله.

المبحث الثالث: الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة.

الخاتمة

المصادر والمراجع

تمهيد: الشعر والدعوة الإسلامية التأثير والتأثر والتعريف بالشاعر

الشعر والدعوة الإسلامية التأثير والتأثر:

لا شك أن لكل أمة صنعة يشتهرون بها ويظهرون الفخر والتعظيم بها، فالشعر أحد الفنون الأدبية التي اشتهر بها العرب وبرعوا فيها، وكان له مكانة خاصة وقدر كبير عندهم، فقد كان العرب يقيمون أسواقًا للشعر ويحكّمون بين شعرائهم، بل كانوا يستخدمونه في جميع مواقف حياتهم، كما كان له دور كبير في نصرة الدعوة الإسلامية والدفاع عنها.

تأثر الشعر بالدعوة الإسلامية من خلال تغير أغراضه ومضامينه وتوجيهاته، ومن أبرز أثر الإسلام على الشعر والشعراء: تطور الأساليب والمعاني، وتهذب الألفاظ، وأتاح له الأغراض الشعرية المتعلقة بالإيمان والعبادة، وتأثر بجماليات الحماسة المتصلة بالقيم الإسلامية، وقلّت بعض الأغراض الشعرية التي انتشرت في العصر الجاهلي من هجاء وأغراض تنافي تعاليم الدين الإسلامي، وتم استخدام الشعر في وصف المعارك والغزوات الإسلامية، واستخدمت أغراض الفخر والمدح لإبراز بطولات الرعيل الأول وما تمتعوا به من شجاعة وكرم وعفة وخوف من النار.

وقد ورد في كتاب الأدب في عصر النبوة والراشدين "وضع الإسلام الآداب العامة ومناهج السلوك المتبع في الحياة، ولم يكن هذا التغير يسيرًا أو هيّنًا، ولقد لقي الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه عنتًا شديدًا في سبيله"(١).

وتأثر الشعراء بالقرآن الكريم مما زادهم فصاحة وبلاغة، وساعد في ازدهار اللغة العربية وأساليبها الجديدة في التعبير، وظهر شعراء حملوا على عاتقهم همّ الإسلام والدعوة إلى مبادئه العظام، مثل: حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، وعبد الله بن رواحة، وغيرهم، فهم أول من دافع عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وردوا على شعراء المشركين، وصار لهم تأثير في توظيف الموضوعات وتوجيه المسلمين نحو الخير.

(١) صلاح الدين الهادي، "الأدب في عصر النبوة والراشدين"، ط١، دار الثقافة العربية، القاهرة، (١٩٩٨م)، ٢٦.

ولذلك نزل القرآن باللغة التي تناسبهم من ناحية اهتمامهم بالشعر، "فهذه اللغة هي لغة الثقافة العليا والفكر والإبداع التي استخدمها القرآن في هذا الوقت، أما قبائلهم فكانت تتكلم بلغات أخرى على حسب قربها وبعدها من مكة، ولما جاء الإسلام وكثرت الفتوحات الإسلامية انتشرت اللغة العربية بفصاحتها وجمالها وعذوبتها في جميع المناطق التي انتشر فيها الإسلام، وأصبح جميع من دخل الإسلام يتلون القرآن آناء الليل وأطراف النهار، وكان للقرآن الفضل في حفظ هذه اللغة على مر العصور"(١).

كان للإسلام أثر على أساليب الشعراء، رقت ألفاظهم، وعذب أسلوبهم، وكان للفتوحات الإسلامية الأثر البالغ في اختلاط الغرب بالأعاجم، فاستمدوا منهم مظاهر حضاراتهم، مما أدى إلى اتساع معاني الشعراء، وانفتاح مخيلة الشعراء(٢)، وفي هذه الفترة قد أتوا الشعراء بألفاظ توافق القرآن الكريم دون قصد، وهناك من أخذوا من آيات القرآن في أشعارهم خاصة في فترة الحروب الإسلامية مثل بدر وأحد وغيرها من المعارك الكبرى، وغالبًا ما بعد انتهاء الحرب لوصف ما حدث في الحروب(٣).

تأثرت الأغراض الشعرية الموروثة بالدعوة الإسلامية، فتحوّل المدح من غرض شخصي إلى غرض يتأثر بالشريعة الإسلامية، "ومن هنا نرى كيف عمل الإسلام على تطهير غرض المدح من التعلق بأطماع الدنيا والتكسب"(٤)، فقد مدح كثير من شعراء الإسلام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كما استخدموا الشعراء الهجاء في الدفاع عن الدين الإسلامي للرد على هجاء المشركين، متأثرين بألفاظ القرآن الكريم، كما اهتم الخلفاء الراشدون بالقضاء على أشعار الهجاء لما تحمله من ضغينة بين المسلمين، وتتجلى الألفاظ والمعاني الإسلامية دفاعًا عن الإسلام ونبي الإسلام، يقول الدكتور صلاح الدين الهادي: "وقد اختلف هذا الهجاء عن سابقه بكثرة ظهور العناصر الإسلامية"(٥)، كما مزج حسان بين هجاء أبي سفيان ومدح الرسول، فكان لهذه الأبيات حسن الذكر عند المسلمين(٦)، ونجد شعر الوصف الذي انحصر في وصف مشاهد جديدة منها: الجنة، والنار، والمعارك الإسلامية، ووصف الخيل عند القتال، ثم شعر الرثاء الذي كانت تظهر فيه جوانب الحزن واليأس واللوعة، فأصبح يتحدث فيه الشعراء عن ما أعده الله سبحانه وتعالى للشهداء من الفوز والسعادة في الآخرة، ونجد الفخر بالأموال والأولاد، والأحساب والأنساب،

(١) شوقي ضيف، "العصر الإسلامي"، ط٢٠، دار المعارف، القاهرة، (٢٠٠٢م)، ٣٣-٣٤.

(٢) إحسان النص، خليل هنداوي، عمر يحيى، "الرائد في الأدب العربي"، ط١، المطبعة الهاشمية، دمشق، (١٩٤٨م)، ٣٩٦-٣٩٧.

(٣) يحيى الجبوري، "شعر المخضرمين وأثر القرآن فيه"، ط١، مكتبة النهضة، بغداد، (١٩٦٣م)، ١٢.

(٤) صلاح الدين الهادي، "الأدب في عصر النبوة"، ط١، دار الثقافة العربية، القاهرة، (١٩٩٨م)، ٣٠٨.

(٥) صلاح الدين الهادي، "الأدب في عصر النبوة"، ٢٥٤.

(٦) يحيى جبوري، "شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه"، ٦٥.

فأصبح الفخر بطاعة الله ورسوله والانتماء للدين الإسلامي، وذكر البلاء الحسن في نصرة النبي، والعبودية لله رب العالمين، إلى جانب الفخر بالطاعات لله ورسوله"[١]، وغرض الحكمة كان يتحدث فيه الشعراء عن تجاربهم، أما في العصر الإسلامي فقد أصبح الحديث عن الحكمة والصبر والتوكل على الله وتقوى الله وغيرها من المعاني الإسلامية، ويظهر شعر الحكمة جليًا واضحًا في شعر النابغة الجعدي، ويتجلى الغزل ويتميز بالعفة، ولم يوجد سوى في بعض أبيات، عند مقدمات القصائد.

التعريف بالشاعر:

"هو أبو ليلى، نابغة بني جعدة: وهو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة"[٢]، "كان شاعرًا مفلقًا طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وكان أكبر من النابغة الذبياني، وبقي بعده بقاءً طويلًا، وهو أحد المعمرين، يقال إنه عاش من العمر مائتي سنة، وقيل أقل من ذلك، وكف بصره بعد أن أسلم وحسن إسلامه، وكان في الجاهلية من الموحدين لله وعلى ملة إبراهيم يصوم ويستغفر، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه الغزوات، وبلغ إلى فتنة ابن الزبير ومات بأصفهان"[٣].

"وإنما قيل له: النابغة؛ لأنه قال الشعر في الجاهلية، ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر"[٤]، "ثم نبغ فيه فقاله؛ فسمّي النابغة"[٥].

(١) صفوت زيد التركي، "التحول الشعري في عصر البعثة المحمدية"، (د. ط)، طنطا، (د. ت)، ٦٨.

(٢) محمد بن سلام الجمحي (ت: ٢٣١هـ)، "طبقات فحول الشعراء"، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، (د. ط)، جدة: دار المدني، (د. ت)، ٢٦-٢٨.

(٣) محمّد بن عمران المرزباني (ت: ٣٨٤هـ)، "معجم الشّعراء"، تحقيق فاروق سليم، ط١، دار صادر، بيروت، (٢٠٠٥م)، ١٠٢.

(٤) ابن خلكان، "وفيات الأعيان"، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، (١٩٧٠م)، ٣: ٤٣٣.

(٥) عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ)، "خزانة الأدب"، تحقيق عبد السلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٩٩٧م)، ٢: ٣٧٠-٣٧١.

المبحث الأول: الدعوة إلى توحيد الله في شعر النابغة الجعدي

"دعا المسلمون المشركين بالشعر إلى ترك عبادة الأصنام، ونبذ التعصب لدين الآباء والأجداد وذم التعصب للقبيلة، ودعا للدخول في دين الإسلام"(١).

وقد منّ الله سبحانه وتعالى على النابغة بنعمة التوحيد والإسلام، ومن ذلك الحين سخّر شعره في دعوة العرب إلى هذه النعمة، فكان أحد شعراء الصحابة الذائدين عن حياض الإسلام والداعين إلى التمسك بعقائده وآدابه، ومن ذلك ما قاله رضي الله عنه(٢):

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ	مِنْ لَمْ يَقُلْهُ فَنَفْسُه ظُلْمًا
الْمُولِجِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَفِي	اللَّيْلِ نَهَارًا يُفَرِّج الظُّلَمَا
الْخَافِضُ الرَّافِعُ السَّمَاءِ عَلَى	أَرْضٍ وَلَمْ يَبْنِ تَحْتَهَا دَعْمًا
الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ فِي	الْأَرْحَامِ مَاءً حَتَّى يَصِيرَ دَمًا

بدأ النابغة الجعدي بالحمد لله، فهي من المقدمات الفنية للخطابة الدينية في الإسلام و"الخطبة التي تتجرد منها تسمى بالبتراء على نحو خطبة زياد بن أبيه"(٣).

يظهر النابغة الجعدي توحيده الخالص لله عز وجل ويجرده من الشرك وشوائبه، ويبدأ بالحمد لله وهو الثناء لله سبحانه وتعالى بصفات الكمال وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه على أعظم النعم وهي نعمة التوحيد، وفي عجز البيت أراد النابغة الجعدي أن يبرز أول أسس الدعوة إلى الدين الإسلامي ويدعو إلى الإيمان بالله وعقد الصلة الدائمة بين الداعي إلى الله وخالقه، خطاب الدعوة إلى الإسلام: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ الظلم المقصود عند النابغة هو ظلم النفس بشركها، ولذا يأتي بالحجج والبراهين لدعوة التوحيد وقدرة الله الذي يولج الليل في النهار ويفرج الظلمات، وهو في ذلك متأثر بقول الله عز وجل: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [سورة الحج: ٦١].

ويذكر لنا أسماء الله الحسنى وصفاته (الخافض الرافع الخالق البارئ المصور)، وفي ذلك تناص مع القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) ينظر: ابتسام الصفار، "الأمالي في الأدب الإسلامي"، ط١، دار الحكمة، (١٩٩٩م)، ١٩٦.

(٢) واضح الصمد، "ديوان النابغة الجعدي"، ط١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، (١٩٩٨م)، ١٤٧.

(٣) عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان (ت: ٢٥٥هـ)، "البيان والتبيين"، تحقيق عبد السلام هارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٩٩٨م)، ٢: ٦.

وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [سورة الحشر: ٢٤]، والتناص "يعني أنْ يتضمّن نصٌّ أدبي ما نصوصًا أو أفكارًا سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصّوص أو الأفكار مع النصّ الأصلي ليتشكّل نصًا جديدًا واحدًا متكامل"(١).

والتناص بالمفهوم السابق "ظاهرة لغويّة معقّدة تستعصي على الضبط والتقنين، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقّي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح"(٢).

ويبرز لنا قدرة الله في خلق الإنسان من نطفة ويحكم هذه الأبيات بتتبع خلق الله سبحانه وتعالى وعظمته، ويظهر التناص عند الرجوع إلى آيات الله سبحانه وتعالى؛ ليخلق تأثيرًا فنيًّا وجماليًّا ويؤكد حجته، ونجده يأخذ هذا المعنى من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٢-١٤]، من هنا استطاع النابغة الجعدي بقوة المعاني ونظم الألفاظ أن يدعو إلى تعاليم ديننا الحنيف، وأن يوظف البديع الذي تجلى في الطباق ما بين الليل والنهار، والخافض الرافع، ولا شك أنَّ ذكر اللّفظة ثم إيراد ما يقابلها يحدث حركة استرجاع موقّعة تبرز إبداع الشّاعر في التّفنّن في شعره، وقدرته على استغلال الرصيد اللغوي المشترك.

ويؤكد النابغة الإيمان باختصاص الله بعلم الغيب، لا ينازعه في ذلك أحد، وهذا من صميم توحيد الله الذي أكده الله في كتابه في غير ما موضع كقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾[سورة النمل: ٦٥]، فيتناص النابغة مع تلك الآيات في قوله(٣):

لوى الله علم الله عمّن سواءه ويعلم منه ما مضى وتأخّرا

ومن هذا المنطلق يؤكد الشاعر على قضية الإيمان بالقضاء والقدر، ويحث صاحبيه على الاعتناء بهذا الركن المهم وعدم الجزع من نوائب الدهر فيقول(٤):

وَلَا تُجْزِعا إنْ الحَيَاة ذَمِيمَة فَطيرا لِرِوَعات الحَوَادِثُ أَوْ قِرَا

وَإِنْ جَاءَ أَمْرُ لَا تُطِيقان دَفَعَهُ فَلَا تُجْزِعا مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَأَصْبَرَا

(١) أحمد الزعبي، "التناص نظريًا وتطبيقيًا"، ط١، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، (٢٠٠٠م)، ١١.

(٢) محمّد مفتاح، "تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجية التناص)"، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، (١٩٩٢م)، ١٣١.

(٣) واضح الصمد، "ديوان النابغة الجعدي"، ٥٥.

(٤) واضح الصمد، "ديوان النابغة الجعدي"،:٥٤.

أَلَمْ تَرَيَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا قَلِيلٌ إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَّى وَادَّبرا

تَهِيجُ الْلحاءُ وَالنَّدَامَة ثُمَّ لَا تُغَيِّرُ شَيْئًا غَيْرَ مَا كَانَ قَدْرًا

ينهى النابغة الجعدي عن الجزع في هذه الحياة التي وصفها بالذميمة ووضع حوادث الدهر وأثرها أما صبر أو جزع، ويواصل في البيت الثاني ليوثق الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم بكل شيء ليس لنا قدرة في دفعه من خلال كلماته الفصيحة بعدم الجزع من أقدار الله، ويوصي ويأمر بالصبر، ويثبت لنا أن اللوم على الأشياء الماضية التي تدبر ليس له نفع ولا فائدة فهو مدخل من مداخل الشيطان، وفي البيت الأخير يوضح ما كان في المجتمع من لوم وندم وبكاء، ونجد صورة بلاغية جميلة في قوله: "هِيجُ الْلحاءُ وَالنَّدَامَة" إذ جعل اللؤم والسباب والندامة كالحروب تهيج حينًا ولكنها لا تغيّر في أمر قدّره الله، وفي ذلك استعارة مكنية، ولا شك أنَّ خفاء المستعار وجعل بعض ملائماته تحلُّ محلّه قد أدّى إلى التوغل في العمق في الاستعارة، ممّا يفرض على المتقبّل تخطّي مرحلة إضافيّة في العمليّة الذهنيّة التي يكشف أثرها حقيقة الصورة(١)، لذا كانت الاستعارة المكنيّة أشدَّ بُنى الصور تعقيدًا وأبرزها إيغالًا في الشّعر والتحليل(٢)، ويظهر هنا التناص والإشارة إلى آيات الله المحكمة في ركن من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقضاء والقدر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [سورة الفرقان: ٢]، ولا شك أن هذه الأبيات الشعرية تعكس إيمان النابغة الجعدي بمشيئة الله الشاملة وأقداره النافذة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يخرج من مشيئته شيء، وأراد أن يرسل رسالة لأهل الأصنام وعباد الأوثان ومن لم يؤمن من قومه وعشيرته في الجاهلية بأن الأقدار عند الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له.

كما نجد شاعرنا يتمثل الآيات التي تؤكد انفراد الله بهداية الخلق للحق أو صدهم وإضلالهم عنه كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [سورة الزمر: ٢٣]، ونجد هذا المعنى واضحًا جليًّا في قول النابغة(٣):

أَضَلَّ اللهُ سَعْيَ بَنِي جُدَيْعٍ وَلَيْسَ لِمَا أَضَلَّ اللهُ هَادِي

(١) محمّد الهادي الطرابلسي، "خصائص الأسلوب في الشوقيات"، (د. ط)، منشورات الجامعة التونسية، تونس، (١٩٨١م)، ١٦٦.

(٢) عبد الله حسين البار، "شعر امرئ القيس دراسة أسلوبيّة"، ط١، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، (٢٠٠٣م)، ١٤٤.

(٣) واضح الصمد، "ديوان النابغة الجعدي"، ٥٢.

ولقد كان النابغة يستشعر نعمة الله عليه بالهداية للحنيفية السمحة ويتذكر ما كان عليه من عبادة الأوثان في الجاهلية وفي ذلك دعوة لمن حوله من العرب بسلوك طريق الهدى والرشاد فيقول رضي الله عنه[١]:

قالت أمامة كم عمرت زمانة وذبحت من عتر على الأوثان
وعمرت حتى جاء أحمد بالهدى وقوارع تتلى من القرآن
ولبست مِ الإسلام ثوبًا واسعًا من سيب لا حرم ولا منّان

ولعظمة نعمة الهداية إلى التوحيد، وامتلاء نفسية الشاعر بحبها ورغبته في دعوة الناس لما من الله به عليه، فإنه يؤكد ذلك في غير ما موضع، فنجده يلهج بذكرها في قوله[٢]:

حتى أتى أحمد الفرقان يقرأه فينا وكنا بغيب الأمر جهّالا
فالحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالا

ونجد في هذين الشاهدين تشبيه الشاعر للإسلام بالقميص الواسع الذي يتجمل به المرء ويستر به عيوبه ويزين به أمام الخلق، ونرى الشاعر يوظف متعلقات الإنسان ويتخذ منها ينبوعًا لمادة تصويره.

استطاع النابغة الجعدي أن يرسل الدعوة إلى جميع القبائل في العصر الجاهلي بكلماته القوية المؤثرة وأن يدعو إلى مبادي الدين الإسلامي، أسلم وقد وفد مع قومه مبايعًا النبي صلى الله عليه وسلم لتعليم الدين، وحسن إسلامه، ومُلئت أشعاره بالروح الإسلامية، وصار أثره واضحًا في إسلام كثير من القبائل والأفراد.

ومن هذا المنطلق الشعري المفعم بتوحيد الله ترى الباحثة قوة ومتانة العلاقة بين اللغة العربية والتشريع الإسلامي.

المبحث الثاني: الجهاد في سبيل الله في شعر النابغة

أحب النابغة الجعدي الجهاد في سبيل الله، فكان من المدافعين عن حياض الإسلام، ولحبه لهذه الشعيرة العظيمة نجده يحث عليها من خلال هذا الحديث الدائر بينه وبين زوجه قائلًا [٣]:

بَاتَتْ تَذْكُرَنِي بِاَللَّهِ قَاعِدَة وَالدَّمْع يَنْهَلُ مِنْ شَأْنُيهِمَا سُبُلًا
يَا بَنَّة عَمّي كِتَابِ اللَّهِ أَخْرَجَنِي عَنْكُمْ وَهَلْ امْنَعَنَّ اللَّهِ مَا فَعَلًا
فَإِنْ رَجَعَتْ فَرُبّ النَّاس يُرْجِعُنِي وَإِنْ لَحِقَتْ بِرَبِّي فَابْتَغِي بَدَلًا

(١) واضح الصمد، "ديوان النابغة الجعدي"، ١٧٦.
(٢) واضح الصمد، "ديوان النابغة الجعدي"، ١٢٢.
(٣) واضح الصمد، "ديوان النابغة الجعدي"، ١٣٧- ١٣٨.

مَا كُنْت أَعْرَجَ أَوْ أَعْمَى فَيُعْذَرَنِي أَوْ ضَارِعًا مِنْ ضِنًى لَمْ يَسْتَطِعْ حُوَّلًا

الجهاد ذروة سنام الإسلام وبه ننال العزة في الدنيا والآخرة؛ لذلك خرج النابغة الجعدي مجاهدًا طائعًا لأوامر الله فهو القائل هذه الأبيات عندما حزنت زوجته ساعة فراقه لها، وقد اتكأ الشاعر على الكناية عندما صور دمعها يجري متخذًا سبلًا شتى في مجاريه، وفي ذلك كناية عن شدة الحزن وكثرة البكاء المنبعث من شعور صادق، ولكنه مع هذا تظهر عليه علامة الإيمان والامتثال لأوامر الله والتقوى موضحًا أن لا عذر له في القعود، ولِمَا للاستفهام من قيمة إيحائيّة وأسلوبيّة في بنية النصّ الشّعري، وما يضفيه من أثر جماليّ على الصورة التي يظهر فيها، فإنَّ الجعدي وظف الاستفهام لغرض بلاغي وهو النفي في قوله: "وَهَلْ امْنَعَنَّ اللَّهِ مَا فَعَلَا".

وقد استدعى الشاعر من سور القرآن الكريم اقتباسات وإشارات وتضمينًا لألفاظ ووقائع ذكرها في الأبيات السابقة، والبيت الذي يليه يشير إلى فرضية الجهاد، ومن ذلك إشارة إلى نص القرآن الذي يشير فيه إلى قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦]، وأراد أن يبين أن حكم الله لا مرد له، وفي البيت الثالث يبين أن حياته مرهونة بقضاء الله وقدره، فإذا كتب الله الرجوع رجع إليها، وإذا اختاره الله لجواره، فتلك إرادة الله، وهذا اقتبسه وأخذه من قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٤]، وفي البيت الرابع يوضح معوقات الجهاد وهي المرض والعمى والعرج، والآية التي تتحدث عن أصحاب الأعذار في الجهاد توضح التناص المأخوذ من دستور الإسلام والمعجزة الخالدة، وهي: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمَا﴾ [الفتح: ١٧]، وأيضا قول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة التوبة: ٩١]، وفي أشعار النابغة تظهر الكثير من القصائد الطوال والأبيات الشعرية المتناثرة المتأثرة بنصوص قرآنية وهذا، يدل على قرب الشاعر من القرآن الكريم فهو كتاب محكم بآيات التشريع الإسلامي، واقتباس الشعر من آيات القران الكريم دليل على محبة الله ومراقبة الله.

ومن هنا نجد شعر الفتوحات قد "رسم صور رائعة للفروسية العربية في ظل التقاليد التي وضعها الإسلام، وأخرى للإيمان، والعقيدة القوية التي جعلتهم يغزون الأباطرة، والجبابرة، ويقودون ولاياتهم إلى دين الإسلام"(١).

(١) النعمان عبد المتعال، "شعر الفتوح الإسلامية إلى صدر الإسلام"، (د. ت:)، ٨-٩.

ومن صور دعوة النابغة الجعدي قبائل العرب للجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، ثناؤه على الصحابة – رضي الله عنهم – وخصوصًا المهاجرين ـ وما أعده الله للشهداء من النعيم المقيم في الفردوس فيقول(١):

هاجروا يطلبون ما وعد الله فبانوا وجارهم غير قالِ

فسلام الله يغدو عليهم وفيوء الفردوسِ ذات الظلالِ

جعل النابغة الجعدي القرآن مصدرًا ثريًا من مصادر إلهامه الشعري الذي يقتبس منه على مستوى الدلالة والألفاظ والصياغة، ولذا نجده يستدعي النصوص القرآنية لما يمثله القرآن من ثراء وعطاء يجدد الفكر والشعور فضلًا عن تعلقه به تأثرًا وفهمًا واقتباسًا، وترى الباحثة أن القرآن الكريم هو الرمز الأعلى للمثل والقدوة والعظة، وإن استدعاء النصوص القرآنية هو أحد السبل لارتقاء الشعر، ولها رؤى خاصة تتلاءم وتقوي الموقف الشعري مما يجعل للنص نكهة جمالية عند المتلقي، أبدع وتميز شاعرنا النابغة الجعدي بنسج ثقافته وأفكاره وأشعاره المستمدة من القرآن الكريم لينتج لنا خطابًا شعريًا يوافق فيه التشريع الإسلامي من خلال المعاني والتراكيب والمفردات.

المبحث الثالث: الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة

اتخذ النابغة الجعدي من شعره منبرًا يدعو به العرب إلى مكارم الأخلاق وينهى عن سفاسفها، وقد انتهج للوصول إلى تلك الغاية عدة مسالك منها: بيانه أن العفاف ومكارم الأخلاق قد صارت سجية له وطبعًا لا يتخلى عنه، ولا ريب أن التزام الآمر بالمعروف بما يقول يكون أدعى لقبوله من المتلقي، فقد نهى الله عن مخالفة ذلك في قوله:

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٤]، وفي ذلك يقول النابغة(٢):

وَبَيْضاءَ مِثْلِ الرِّئْمِ، لو شِئْتُ قد صَبَتْ إليَّ، وفِيها للمحاضر مَلْعَبُ

تَجَنَّبْتُها، إنِّي امْرُؤٌ في شَيْبَتِي وتَلْعابَتِي عن ريبة الجارِ أنكب

وقد بنى بيته الأول على التشبيه المرسل المجمل بتشبيه المرأة الحسناء بالظبي الخالص البياض مستخدمًا أداة التشبيه مثل، ولأنَّه تشبيه خالٍ من التفصيل لذا فهو يقتضي من المتقبل إلمامًا خاصًا بإطار الحديث تمكّنه من الوقوف على الهدف المقصود، وفي هذين البيتين دعوة من النابغة إلى العفاف الذي جعله الشاعر منهجًا له في حياته كلها.

(١) واضح الصمد، "ديوان النابغة الجعدي"، ١٤٢، الفيء: ظل الجنة.

(٢) واضح الصمد، "ديوان النابغة الجعدي"، ٢٥.

وقد أراد النابغة الجعدي أن يقتدي بما جاء به التشريع الإسلامي، فهو القائل عند قدومه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – معبرًا عن علو مكانة قومه وتطلعهم إلى ما هو أكبر وأعلى بالطاعات والأخلاق الحسنة(١):

بَلَغَنَا السَّمَاءَ مَجْدنا وجدودنا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

وعندما سأله النبي صلى الله عليه وسلم: إلى أين المظهر يا أبا ليلى قال: إلى الجنة يا رسول الله، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم: أجل إن شاء الله، ثم قال له: أنشدني، فأنشده قائلًا:

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُورِدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

فَفِي الْحُلْمِ خَيْرٌ مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٌ وَفِي الْجَهْلِ أَحْيَانًا إِذَا مَا تَعَذَّرَا

فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم: أجدت لا يفضض الله فاك، قال الراوي: فنظرت إليه فكأن فاه البرد المنهمل، ما سقطت له سن، ولا انفلت، ترفٌ غروبه"(٢)، وقيل أتت عليه مائة سنة وما انفض من فيه سن، ومن هنا نجد الإسلام قد غيّر نظرة الشعراء من الفخر بذات النسب والاستعلاء به على بقية الناس إلى طلب رضوان الله والجنة، فقد كانت العصبية القبلية هي أساس ونظام لحياة العرب، ومن أهم مظاهرها الفخر بالأنساب والأحساب، وكان أهل الجاهلية يعاملون الناس حسب منازلهم ودرجاتهم، ويعملون بمبدأ عدم التكافؤ بين الناس(٣).

وفي الأبيات خير كثير وثقل في الأخلاق الفاضلة ودعوة إلى نبذ الجهل والتحلي بالحلم والأناة، وهذا المبدأ يُعد دعوة خالصة من النابغة لأهله وعشيرته للتحلي بالحلم ونبذ الجهل لقومه وعشيرته، فالشاعر هو لسان حال القبيلة والناطق باسمها وهو بمنزلة رجل الإعلام في يومنا هذا، فشبه الحلم بالماء الصافي، والصبر الذي هو أساس الخلق الحسن الذي أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم، ووضع وصايا وأسس للحليم والجاهل، ومن هنا يظهر لنا النابغة من خلال ما قاله من أشعار بلغة عربية فصيحة سليمة معبرة وبكلمات بسيطة تشتمل على البلاغة من طباق ومقابلة والفصاحة ترغيبًا في الأخلاق الحسنة التي تقود العبد إلى دخول الجنة، ومن هنا يتضح لنا ما قاله الدكتور خليل إبراهيم عن شاعرنا "أن النابغة يحسن التعبير عن أفكاره ويستغل مختلف عناصر التعبير والجمال في رسم لوحاته بكل مهارة ودقة واقتدار"(٤)، ومن هنا

(١) واضح الصمد، "ديوان النابغة الجعدي"، ٥٤.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ط٣، مطبعة المدني، (١٩٩٢م)، ١: ٢٢، انفلّت: انظلمت، تبرق غروبه: تبرق ثناياه.

(٣) ينظر: خالد عبد الرحمن علي الجريسي، "العصبية القبلية من المنظور الإسلامي"، (د. ت)، الرياض، ١: ٣٤–٤٢.

(٤) خليل إبراهيم، "النابغة الجعدي"، ط١، دار القلم، دمشق، (١٩٩٣م)، ٥٢٥.

تتجلى أهمية الشعر واللغة العربية وتظهر علاقة وتأثير الشعر الذي يحضن التراث المعرفي للأخلاق الطيبة الفاضلة التي لا تتجزأ ويمكن ما جاء به شرع الله.

ولأن أساس الأخلاق الفاضلة هو مراقبة الله في السر والعلن والتزام التقوى ظاهرًا وباطنًا، لذا فقد جعلها النابغة نصب عينيه وحث على التمسك بها في قوله(١):

تَبِعْتُ رَسُولُ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى ... وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمُجَرَّة نَيِّرَا

وَجَاهَدْت حَتَّى مَا أَحَسَّ ومَن مَعِي ... سُهَيْلًا إِذَا مَا لَاحَ ثُمَّت غَوّرا

أُقِيمَ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضَى بِفِعْلِهَا ... وَكُنْتُ مِنْ النَّارِ الْمَخُوفَة أُوجرَا

وفد النابغة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – في العام التاسع من الهجرة مبايعًا وظهر تأثيره بالقرآن واضحًا في شعره، ومما لا شك فيه أن فعل الطاعات والابتعاد عن المعاصي والسيئات لا يفعلها إلا صاحب التقوى، ويؤكد ذلك النابغة الجعدي بكلمات عربية معبرة.

اقتدى النابغة الجعدي وتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم عقيدة وقولًا وفعلًا مع القصد والإرادة لقول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]، فكان مؤمنًا بما جاء به، مصدقًا لما أخبر به، متبعًا لسنته متحريًا هديه في عباداته ومعاملاته مع كمال المحبة وصدق الموالاة، فكلماته معبرة ومعانيه واضحة جلية من غير تكلف، وقد قال عنه ابن سلام الجمحي: "كان الجعدي مختلف الشعر مغلّبًا، ... وكان الأصمعي يمدحه بهذا وينسبه إلى قلة التكلف، فيقول: عنده خِمار بواف ومطْرَف بآلاف"(٢).

وتظهر البساطة والوضوح في أشعاره بقوله واتباعه من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فيسير بسنته بما فيها من أقوال وأفعال، ويتلو كتابه الذي شبهه بالكواكب النيرة المضيئة، ثم يذكر الجهاد في سبيل الله مدافعًا عن الحق والعقيدة لدرجة أنه لا يشعر بالنجوم التي تخرج، "ومثّل ذلك بالنجم سهيل لظهوره ووضوحه، وفي ذلك كناية عن كثرة الانشغال الدائم في القتال والحرص على دحر الشرك وقتال المشركين، وقد أُعجب النّقاد بالكناية؛ كونها تعتمد على الإيحاء، واعتبرها الجرجاني أبلغ في الافصاح عن المعنى، وأنَّ التعريض بها أبلغ من التصريح؛ ذلك لأنَّها تزيد في إثبات المعنى وتجعله أكثر بلاغة وأشدّ توكيدًا"(٣).

(١) واضح الصمد، "ديوان النابغة الجعدي"، ٥٦، المجرة: نجوم بعيدة لا تراها العين بل ترى نورها، غور النجم: سقط، الأوجر: الخائف المذعور.

(٢) ابن سلام الجمحي، "طبقات فحول الشعراء"، ١: ١٢٤-١٢٥، بواف: بدرهم وثلث.

(٣) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد الجرجاني أبو بكر (ت: ٤٧٤هـ)، "دلائل الإعجاز"، تحقيق محمود شاكر، ط٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، (٢٠٠٤م)، ١: ٧٠-٧١.

وفي ذلك دليل على تقوى الله والعمل بما يرضي الله، ونجد التناص يظهر ويتضح في الاقتباس من آيات الله النار، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [سورة الطلاق: ٥]، وكلمة (أقيم) استعارة مكنية دلالة على السكن والراحة لأوامر الله سبحانه وتعالى؛ ليجعل بينه وبين الله وقاية من غضبه وسخطه وعذابه، لعله يرجو جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، ويخاف ويحذر من النار، ويدعو الله أن يجيره منها، فالنابغة الجعدي مقصده بالكلمات والأبيات الشعرية إظهار وتعظيم شعائر الله بحبه لله واستشعار مراقبة الله والبعد عن المعاصي والأوزار، ولعله أراد أن يعلّم الأجيال كيف تقاوم الهوى وتبعد عن مكائد الشيطان، وبدأ التأثير على قومه واضحًا بدخولهم الإسلام واتباع هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وهنا تظهر قوة ارتباط الملكة الشعرية بشرع الله والدعوة إلى التمسك بالله سبحانه وتعالى.

استطاع النابغة الجعدي أن يرسل الدعوة إلى جميع القبائل في العصر الجاهلي بكلماته القوية المؤثرة، وأن يدعو إلى مبادي الدين الإسلامي، فقد وفد مع قومه مبايعًا النبي صلى الله عليه وسلم لتعليم الدين، وحسن إسلامه، وملئت أشعاره بالروح الإسلامية، وصار أثره واضحًا في إسلام كثير من القبائل والأفراد.

الخاتمة:

تغيرت حياة العرب وتبدلت بعد ظهور الإسلام، وأصبح التغيير واضحًا في حياة العرب الروحية والاجتماعية والنفسية، فأخرجهم من حياة الأصنام، إلى التوحيد الخالص لوجه الله، ومن حياة الظلم إلى العدل، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، فجعلهم أمة واحدة مترابطة، وللشعراء في العصر الإسلامي أعمق التأثير لما لهم من صدق العاطفة، ودقة الحس، ورقة الشعور، لذلك أصبح الشعر من أعظم وأقوى المداخل للدعوة الإسلامية.

نتائج البحث:

١- أكد البحث على تأثير الإسلام وأثره في جميع الأغراض الشعرية التقليدية، والتزامه بالمعاني والألفاظ الإسلامية.

٢- كشف البحث عن اتجاهات شعرية جديدة متأثرة بالقرآن الكريم والتشريع الإسلامي، مثل: شعر الدعوة، ونبذ عبادة الأصنام، ومحاجاة المشركين للدخول في الإسلام، كما ظهر أثر القرآن واضحًا جليًا.

٣- بيّن البحث مكانة شعر النابغة ودوره في نشر الدعوة الإسلامية، وظهور أشعار تدعو إلى وحدانية الله، والتقوى والإيمان بقضاء الله، والجهاد، كما دعت إلى فضائل الأخلاق، من فعل الخيرات وترك المنكرات، والالتزام بالعبادات.

٤- أبرز البحث جماليات بلاغية في نصوص النابغة، وأماط اللثام عن صوره البيانية من تشبيهات واستعارات وأخرى بديعية.

٥- أظهر البحث جليًا مدى تأثر النابغة بالقرآن الكريم من خلال تناصه من الآيات القرآنية، مما يؤكد على تشرب نفسه لألفاظ القرآن ومعانيه، وتمثله لقيمه وآدابه.

٦- أكد البحث دور الكلمة العربية في شعر النابغة الجعدي وأثرها في دخول قومه الإسلام، وصدى شعره في المجتمعات المسلمة.

توصيات البحث:

١- حث المهتمين والمتخصصين على التوسع في عقد دراسات متخصصة في الشعر الإسلامي، والعناية بجماليات النصوص الأدبية الإسلامية ودورها الأدبي وأثرها الواضح في نشر الدعوة الإسلامية والتشريع الإسلامي.

٢- إعتناء الباحثين بتتبع شعر النابغة الجعدي لحيويته التي تقبل استيعاب المناهج الأدبية المختلفة فهناك نصوص كثيرة لم أتمكن من ذكرها، أوصي بتتبعها للكشف عن جماليات الدلالات الكامنة فيها.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

إبراهيم، خليل. "*النابغة الجعدي*". ط١، دار القلم: دمشق، (١٩٩٣م).

ابن خلكان. "*وفيات الأعيان*". تحقيق إحسان عباس، ط١، دار صادر: بيروت، (١٩٧٠م).

البار، عبد الله حسين. "*شعر امرئ القيس دراسة أسلوبية*". ط١، مركز عبادي للدراسات والنشر: صنعاء، (٢٠٠٣م).

البغدادي، عبد القادر بن عمر. (ت: ١٠٩٣هـ). "*خزانة الأدب*". تحقيق عبد السلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجي: القاهرة، (١٩٩٧م).

الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان. (ت: ٢٥٥هـ). "*البيان والتبيين*". تحقيق عبد السلام هارون، ط٧، مكتبة الخانجي: القاهرة، (١٩٩٨م).

الجبوري، يحيى. "*شعر المخضرمين وأثر القرآن فيه*". ط١، مكتبة النهضة: بغداد، (١٩٦٣م).

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر. (ت: ٤٧٤هـ). "*دلائل الإعجاز*". تحقيق محمود شاكر، ط٥، مكتبة الخانجي: القاهرة، (٢٠٠٤م).

الجريسي، خالد عبد الرحمن علي. "*العصبية القبلية من المنظور الإسلامي*". ط٢، الرياض، (١٤٢٩).

الجمحي، محمد بن سلام. (ت: ٢٣١هـ). "*طبقات فحول الشعراء*". قرأه وشرحه محمود محمد شاكر. (د. ط)، دار المدني: جدة، (د. ت).

الزعبي، أحمد. "*التناص نظريًا وتطبيقيًا*". ط١، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع: عمان، (٢٠٠٠م).

زيد، صفوت التركي. "*التحول الشعري في عصر البعثة المحمدية*". (د. ط)، طنطا، (د. ت).

شوقي، ضيف. "*العصر الإسلامي*". ط٢٠، دار المعارف: القاهرة، (٢٠٠٢م).

الصفار، ابتسام. "*الأمالي في الأدب الإسلامي*". ط١، دار الحكمة: (١٩٩٩م).

الصمد، واضح. "ديوان النابغة الجعدي". ط١، دار صادر للطباعة والنشر: بيروت، (١٩٩٨م).

الطرابلسي، محمد الهادي. "*خصائص الأسلوب في الشوقيات*". (د. ط)، منشورات الجامعة التونسية: تونس، (١٩٨١م).

المرزباني، محمد بن عمران. (ت: ٣٨٤هـ). "*معجم الشعراء*". تحقيق فاروق سليم، ط١، دار صادر: بيروت، (٢٠٠٥م).

مفتاح، محمد. "*تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)*". ط٣، المركز الثقافي العربي: بيروت، (١٩٩٢م).

النص، إحسان، خليل هنداوي، عمر يحي. "*الرائد في الأدب العربي*". ط١، المطبعة الهاشمية: دمشق، (١٩٤٨م).

النعمان، عبد المتعال. "*شعر الفتوح الإسلامية إلى صدر الإسلام*". (د. ت).

الهادي، صلاح الدين. "*الأدب في عصر النبوة والراشدين*". ط١، دار الثقافة العربية: القاهرة، (١٩٩٨م).